علم النفس الحديث وعداوته الخفية للإسلام

(تفنيد علمي وفكري لنظريات تحارب الوحي وتقصي الروح)

د. محمد حيدر الحبر

أستاذ مساعد بكلية التربية

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

علم النفس الحديث وعداوته الخفية للإسلام

(تفنيد علمي وفكري لنظريات تحارب الوحي وتقصي الروح)

د. محمد حيدر الحبر

أستاذ مساعد بكلية التربية

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى بيان أوجه القصور في علم النفس الغربي القائم على الفلسفة المادية، وإبراز الحاجة إلى تأسيس علم نفس إسلامي معاصر يستمد مبادئه من الوحي ويستفيد من المناهج العلمية الحديثة. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي والمقارن، من خلال تحليل الأسس الفلسفية للنظريات النفسية الغربية ومقارنتها بالتصور الإسلامي للنفس. وقد توصلت النتائج إلى أن علم النفس الغربي نشأ في بيئة معادية للدين فحمل نزعة إلحادية واضحة أفقدته التوازن بين الجسد والروح، وأن نظرياته المختلفة كالسلوكية والتحليلية والإنسانية تجاهلت البعد الإيماني، ففسرت السلوك تفسيراً دنيوياً ضيقاً مما أدى إلى أزمات أخلاقية ونفسية في المجتمعات الغربية. كما تبين أن المنهج الإسلامي أوسع وأعمق لقيامه على الجمع بين الوحي والعقل، والمادة والروح، وأن غياب الوحي عن الفكر النفسي الغربي جعله يعيش أزمة هوية ومنهج. واتضح أن التصور الإسلامي للنفس يتسم بالشمول والتوازن، إذ يربط بين العقل والقلب والجسد والروح، ويهدف إلى تزكية النفس وإصلاحها لا إلى تكييفها مع الواقع الفاسد. وخلص البحث إلى أن بناء علم نفس إسلامي معاصر ممكن وضروري إذا قام على الوحي واستفاد من المناهج الحديثة دون الخضوع لفلسفاتها المادية، وأن هدفه يجب أن يكون خدمة الإنسان وإعادته إلى فطرته السليمة. ويوصي البحث بضرورة تأسيس علم نفس إسلامي مستقل في الجامعات ومراكز البحث، وتشجيع الدراسات النقدية للنظريات الغربية، وتطوير أدوات القياس والعلاج النفسي من منظور إيماني، وتأهيل الأخصائيين النفسيين تأهيلاً يجمع بين العلم والإيمان، مع عقد مؤتمرات علمية دورية بين علماء الشريعة والنفس، وتعزيز الوعي بخطورة الفكر النفسي المادي. كما يقترح إجراء دراسات ميدانية لقياس أثر العبادات على الصحة النفسية، وإعداد موسوعة ومجلة علمية متخصصة في علم النفس الإسلامي، وترجمة المؤلفات الغربية ترجمة نقدية، ووضع مقررات موحدة تُدرَّس في الجامعات، وتوجيه الباحثين إلى دراسة العلاقة بين العبادة والصحة النفسية لإثبات أثر الإيمان في تحقيق الاتزان النفسي.

ABSTRACT

This research aims to highlight the shortcomings of Western psychology, which is based on a materialistic philosophy, and to emphasize the need to establish a contemporary Islamic psychology that derives its principles from divine revelation while benefiting from modern scientific methodologies. The study adopts an analytical, critical, and comparative approach by examining the philosophical foundations of Western psychological theories and comparing them with the

Islamic conception of the human soul. The findings reveal that Western psychology emerged in an environment hostile to religion, carrying with it a clear atheistic tendency that disrupted the balance between body and soul. Its various schools—behaviorism, psychoanalysis, and humanism—have neglected the spiritual dimension, interpreting behavior from a purely secular perspective, which has led to moral and psychological crises in Western societies. The research also shows that the Islamic approach is broader and deeper, as it integrates revelation and reason, matter and spirit, and that the absence of revelation in Western psychological thought has led to a crisis of identity and methodology. Furthermore, the Islamic conception of the soul is characterized by comprehensiveness and balance, linking mind, heart, body, and spirit, and aiming at the purification and reform of the self rather than its adaptation to a corrupt reality. The study concludes that building a contemporary Islamic psychology is both possible and necessary if it is founded upon divine revelation and benefits from modern research methods without submitting to materialistic philosophies. Its ultimate goal should be to serve humanity and restore the innate purity (fitrah) with which God created mankind. The research recommends establishing an independent field of Islamic psychology in universities and research centers, encouraging critical studies of Western theories, developing assessment and therapeutic tools from a faith-based perspective, and training Muslim psychologists in both scientific and spiritual depth. It also calls for regular scientific conferences bringing together scholars of psychology and Islamic studies, and for raising awareness about the dangers of materialistic thought. Moreover, it proposes conducting empirical studies to measure the effects of worship on mental health, preparing an encyclopedia and a peer-reviewed journal specializing in Islamic psychology, translating modern psychological works critically rather than literally, developing unified university curricula in Islamic psychology, and encouraging researchers to study the relationship between worship and mental health to demonstrate the role of faith in achieving psychological balance.

المبحث الأول : الإطار العام للبحث :

مقدمة البحث

شهد الفكر الإنساني في العصر الحديث تحولات كبرى في فهمه لطبيعة الإنسان، حيث اتجهت المدارس الغربية في علم النفس إلى تفسير السلوك الإنساني تفسيرًا ماديًا بحتًا، متجاهلة البعد الروحي الذي يشكل جوهر الكيان البشري. وقد تأسست أغلب النظريات النفسية الحديثة على أسس فلسفية غربية، متأثرة بالاتجاهات الوضعية والعلمانية التي أقصت الدين والوحي من ساحة البحث العلمي، فجاءت تفسيراتها للنفس البشرية مبتورة ومشوهة. ومع اتساع نفوذ الفكر الغربي في العالم الإسلامي، انتقلت إلينا تلك النظريات بغير تمحيص ولا نقد، فصارت تُدرّس في جامعاتنا وتُطبّق في مؤسساتنا النفسية والتربوية، حتى غدت المرجعية الأولى في تفسير السلوك الإنساني، متجاهلة الهدي القرآني والنموذج النبوي في فهم النفس وتزكيتها (الشقيري، 2012، ص 45).

لقد حمل علم النفس الحديث في طياته نزعة عدائية خفية تجاه الدين عامة والإسلام خاصة، إذ يرى في الإيمان عاملاً من عوامل القلق والكبت، وفي العبادات نوعًا من الهروب النفسي، وفي مفاهيم الغيب خرافة غير علمية. ومن ثمّ ظهرت محاولات منهجية لإزاحة المفاهيم الدينية من علم النفس وإحلال الرؤية المادية مكانها. وقد انطلقت هذه الاتجاهات من جذور فلسفية غربية إلحادية، كالمادية الجدلية عند ماركس، والتحليل النفسي عند فرويد، والسلوكية عند واطسون وسكنر، والوجودية عند سارتر، وكلها تشترك في عدائها لفكرة الوحي ونفيها للروح والغيب (عبدالله، 2018، ص 73).

إن دراسة هذه الظاهرة ليست مجرد بحث أكاديمي، بل هي واجب فكري وديني، لأن هيمنة علم النفس المادي في مجتمعاتنا تهدد هوية الإنسان المسلم، وتشوّه تصوره عن نفسه وعن خالقه وعن غاية وجوده. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في كشف أوجه العداء الخفي الكامن في النظريات النفسية المعاصرة للإسلام، وتفنيد أسسها الفلسفية، وبيان البديل الإسلامي الأصيل القائم على الوحي والروح والعقل معًا (الزهراني، 2019، ص 21).

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذا البحث في التناقض العميق بين التصور الإسلامي للنفس الإنسانية كما ورد في القرآن والسنة، وبين التصور المادي الذي تتبناه نظريات علم النفس الحديث. فبينما ينظر الإسلام إلى النفس باعتبارها جوهرًا ذا أبعاد روحية وعقلية وجسدية متكاملة، فإن علم النفس الحديث يتعامل معها كظاهرة فيزيولوجية قابلة للقياس المخبري فقط. هذا الانفصال عن البعد الإيماني أدى إلى نشوء علم نفس معادٍ للوحي، يفسر السلوك بمنطق الصراع الحيواني أو الدوافع الغريزية، وينكر المسؤولية الأخلاقية والجزاء الأخروي، مما جعل علم النفس يتحول من علمٍ لفهم الإنسان إلى أداة لتغريب الإنسان المسلم عن دينه وهويته.

كما تتجلى المشكلة في أن كثيرًا من المؤسسات التعليمية والنفسية في العالم الإسلامي تتبنى هذه النظريات الغربية دون وعي بخلفياتها الفكرية، فيتم نقلها نقلاً حرفيًا وكأنها حقيقة مطلقة، رغم ما تحمله من مضامين تتعارض مع العقيدة الإسلامية، كإنكار وجود الروح، وتفسير الدين بوصفه حالة عصابية، واعتبار الحلال والحرام أنماطًا من "الضبط الاجتماعي" لا علاقة لها بالوحي. هذا النقل غير النقدي أدى إلى تشويه الرؤية الإسلامية للنفس، وأحدث اضطرابًا معرفيًا في مجال الدراسات النفسية الإسلامية.

ومن ثمّ فإن مشكلة البحث تتركز في السؤال الجوهري الآتي: كيف يُظهر علم النفس الحديث عداءه الخفي للإسلام؟ وما الأسس الفلسفية والفكرية التي يقوم عليها هذا العداء؟ وكيف يمكن تفنيدها وتقديم البديل الإسلامي الأصيل؟

أهداف البحث

1. كشف الجذور الفلسفية الغربية التي شكلت الأساس الفكري لنظريات علم النفس الحديث.
2. بيان أوجه التعارض بين التصور المادي للنفس في علم النفس الحديث والتصور الإسلامي المستمد من الوحي.
3. توضيح صور العداء الخفي والمباشر التي يبديها علم النفس الغربي تجاه الإسلام ومفاهيمه الروحية.
4. تحليل آثار تبني النظريات النفسية الغربية على الفكر والسلوك في المجتمعات الإسلامية.
5. تفنيد المزاعم العلمية للنظريات النفسية التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية، وبيان ضعفها المنهجي والمعرفي.
6. اقتراح رؤية إسلامية متكاملة لعلم نفس أصيل يستمد أسسه من القرآن والسنة والعقل السليم.

أهمية البحث

الأهمية النظرية

تكمن الأهمية النظرية لهذا البحث في كونه يسعى إلى إعادة النظر في الأسس الفلسفية والمعرفية التي يقوم عليها علم النفس الحديث، ويبين كيف أن كثيرًا من هذه الأسس تتعارض مع العقيدة الإسلامية في جوهرها، مما يجعلها غير صالحة لتفسير النفس الإنسانية في ضوء الوحي. كما يفتح هذا البحث الباب أمام دراسات علمية أخرى لإعادة تأسيس علم نفس إسلامي يقوم على التكامل بين العلم والإيمان، ويعيد الاعتبار للروح كمكون أساسي في شخصية الإنسان.

الأهمية التطبيقية

أما الأهمية التطبيقية فتتجلى في أن نتائج هذا البحث يمكن أن تسهم في تطوير المناهج الجامعية والمقررات الدراسية في كليات علم النفس، بحيث تُغربل من النظريات التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية. كما يمكن أن يستفيد منها الأخصائيون النفسيون والمربون في بناء برامج إرشادية وتربوية مستمدة من التصور الإسلامي للنفس، بما يعزز التوازن النفسي والروحي في المجتمع المسلم.

أسئلة البحث

1. ما الجذور الفلسفية التي انبثقت منها نظريات علم النفس الحديث؟
2. كيف تُظهر هذه النظريات عداءً خفيًا للإسلام وتعمد إلى إقصاء الروح والوحي؟
3. ما أبرز صور الانحراف الفكري في تفسير النفس والسلوك في ضوء الفكر الغربي؟
4. ما النتائج المترتبة على نقل هذه النظريات إلى المجتمعات الإسلامية دون نقد؟

5. كيف يمكن صياغة نموذج إسلامي بديل في علم النفس يعيد الاعتبار للوحي والروح؟

فروض البحث

1. هناك عداء خفي في بعض نظريات علم النفس الحديث تجاه الإسلام ومفاهيمه الروحية.

2. النظريات النفسية الغربية قائمة على أسس فلسفية مادية تعارض التصور الإسلامي للإنسان

3. تبني المجتمعات الإسلامية لهذه النظريات دون نقد ساهم في إضعاف الهوية الإيمانية للنفس المسلمة.

4. النموذج الإسلامي القائم على الوحي أكثر شمولًا في تفسير النفس من النموذج الغربي المادي.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج النقدي التحليلي المقارن، إذ يقوم الباحث بتحليل النظريات النفسية الحديثة من حيث منطلقاتها الفكرية والفلسفية، ومقارنتها بالتصور الإسلامي للنفس كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية. كما يعتمد البحث على المنهج الوصفي لتتبع مظاهر العداء الخفي في الفكر النفسي الغربي، وعلى المنهج الاستقرائي في جمع النصوص الشرعية والمصادر الفكرية التي تؤسس لعلم نفس إسلامي أصيل.

حدود البحث

1. الحدود الموضوعية: يقتصر البحث على دراسة النظريات النفسية الغربية الحديثة التي تُظهر عداءً صريحًا أو خفيًا للإسلام، كالنظرية التحليلية، والسلوكية، والوجودية، والإنسانية.

2. الحدود المكانية: يركّز البحث على المجتمعات الإسلامية التي تبنت هذه النظريات في مؤسساتها الأكاديمية أو النفسية.

3. الحدود الزمانية: تمتد حدود الدراسة منذ نشأة علم النفس الحديث في القرن التاسع عشر وحتى الواقع المعاصر.

مصطلحات البحث

علم النفس الحديث: مجموعة المدارس والنظريات النفسية التي نشأت في الغرب منذ القرن التاسع عشر، وتعتمد على المنهج التجريبي والمادي في تفسير السلوك الإنساني (عبدالله، 2018، ص 82).

العداء الخفي: توجه فكري أو فلسفي غير معلن يسعى لإقصاء الدين والوحي من ميدان التفسير النفسي أو السلوكي (الشقيري، 2012، ص 57).

التصور الإسلامي للنفس: الرؤية التي يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية لطبيعة النفس الإنسانية وأبعادها الروحية والعقلية والجسدية (الهاشمي، 2021، ص 49).

المبحث الثاني : الأسس المادية والإلحادية في النظريات النفسية الغربية

تعريف علم النفس

يُعرف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان دراسة علمية منظمة لفهمه والتنبؤ به وضبطه. ويشمل ذلك دراسة العمليات العقلية والشعورية واللاشعورية، وكذلك الدوافع والانفعالات والتفكير والتعلم والشخصية وغيرها من الظواهر النفسية. غير أن هذا التعريف في السياق الغربي وُضع بمعزل عن البعد الديني والروحي، إذ انطلق من تصور مادي محض للإنسان بوصفه كائنًا بيولوجيًا يخضع للقوانين الطبيعية مثل غيره من المخلوقات. ومن هنا، فإن علم النفس الحديث، رغم قيمته التجريبية، قد تأسس على رؤية علمانية تنفي وجود الروح، وتحصر النفس في النشاط العصبي أو العقلي القابل للقياس (عبدالله، 2018، ص 12).

وقد اختلفت المدارس النفسية في تحديد مفهوم النفس تبعًا لاتجاهاتها الفلسفية؛ فالبعض جعلها مجرد "مجموعة من الظواهر السلوكية"، والبعض الآخر عدّها "وظائف عقلية"، بينما أنكر فريق ثالث وجودها من الأصل. وهذا التباين يعكس غياب الأساس العقدي المشترك، لأن المفهوم الغربي للنفس وُلد في بيئة فلسفية مفصولة عن الدين والوحي (الهاشمي، 2021، ص 18).

النشأة الفلسفية لعلم النفس الغربي

نشأ علم النفس الحديث في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر على أنقاض الفلسفة القديمة التي كانت تبحث في ماهية النفس والروح. ومع انهيار سلطة الكنيسة، اتجه العلماء إلى اعتماد المنهج التجريبي الصارم، رافضين كل ما لا يمكن قياسه أو ملاحظته. وقد أدى هذا إلى تحول علم النفس من مبحثٍ فلسفيٍّ يربط الإنسان بخالقه إلى علمٍ تجريبيٍّ يدرس السلوك فقط. فكانت البداية مع فِلسفة "الوضعية" التي أسسها أوغست كونت، والتي تقرر أن المعرفة لا تكون إلا بما تدركه الحواس، وما عدا ذلك فهو ميتافيزيقيا لا قيمة لها في العلم (الشقيري، 2012، ص 52).

وقد تسرب هذا المبدأ إلى جميع فروع العلوم الإنسانية، ومنها علم النفس، فصار يُبنى على التجريب والملاحظة فقط، مع تجاهل أي جانب روحي أو غيبي. وهكذا انقطعت الصلة بين علم النفس الغربي وبين التصورات الدينية التي كانت ترى في النفس جوهرًا روحانيًا متصلًا بالله (العساف، 2020، ص 63).

الأسس المادية في بناء النظريات النفسية

إن أول ما يلفت النظر في علم النفس الغربي هو اعتماده الكامل على التفسير المادي للسلوك الإنساني. فكل ظاهرة نفسية تُفسَّر من خلال الدماغ، أو الجهاز العصبي، أو العوامل الوراثية، دون الإشارة إلى الروح أو الغاية الأخلاقية. فالإنسان، في هذا المنظور، آلة عضوية معقدة تتفاعل مع البيئة، وتستجيب للمنبهات، وتتكيف مع الواقع، دون أن تكون له رسالة أو بعد أخروي. وقد شكل هذا الاتجاه الأساس الذي قامت عليه معظم المدارس النفسية الحديثة (عبدالله، 2018، ص 84).

فالمدرسة البنيوية التي أسسها فِلْتْشِنر ووِلْ فوند كانت تُحاول تحليل الوعي إلى عناصره الأساسية عبر التجريب، لكنها كانت تُخضع العقل لمنهج المختبر المادي، متجاهلة أن النفس الإنسانية لا تُختزل في إحساسات وأفكار قابلة للقياس (القرني، 2015، ص 44).

أما المدرسة الوظيفية فقد وسّعت المنظور المادي حين اعتبرت أن التفكير والسلوك ليسا إلا أدوات تكيفية لبقاء الكائن، متأثرة بنظرية داروين في التطور. فالنفس هنا ليست سوى نتاج تطور طبيعي، وليس خلقًا إلهيًا له غاية محددة (الزهراني، 2019، ص 27).

التحليل النفسي ونفي البعد الروحي

جاء سيغموند فرويد ليؤسس لمرحلة جديدة من المادية في تفسير النفس، فاعتبر أن الإنسان تحكمه الدوافع الجنسية والعدوانية المكبوتة في اللاشعور، وأن الدين مجرد وسيلة لتهذيب هذه الدوافع البدائية. وذهب إلى أن فكرة الله إسقاط نفسي للأب، وأن الصلاة والعبادة أنماط من السلوك العصابي الذي يخفف التوتر الداخلي. بهذا جعل فرويد الدين "وهمًا" والضمير الأخلاقي "نتيجة لعقدة أوديب"، وهو ما يمثل أساسًا صريحًا للإلحاد المقنَّع في علم النفس التحليلي (الهاشمي، 2021، ص 50).

لقد كان هدف فرويد تفسير الإنسان بمعزل عن الروح، وردّ كل سلوك إلى أصول مادية نفسية بحتة. ولذلك نجد أن التحليل النفسي يقوم على تصور يجعل الإنسان عبدًا للغريزة، لا عبدًا لله، مما يتعارض مع المفهوم القرآني للنفس التي فطرها الله على الخير والتقوى (الزهراني، 2019، ص 33).

السلوكية وإنكار الوعي

أما المدرسة السلوكية التي أسسها جون واطسون وطوّرها بورهوس سكنر، فقد بلغت المادية فيها ذروتها. إذ أنكرت وجود الوعي والنفس من الأصل، واعتبرت أن كل سلوك يمكن تفسيره من خلال قوانين المنبه والاستجابة. فالإنسان ليس سوى كائن يُكيَّف بالجوائز والعقوبات، ويمكن التحكم فيه كما نتحكم في الحيوان داخل المختبر. بهذا المنهج التجريبي الصارم تم إلغاء مفهوم الروح، وتحويل الإنسان إلى آلة استجابية خالية من الإرادة الحرة أو البعد الغيبي (العساف، 2020، ص 67).

وقد أدت هذه النظرة إلى اختزال الإنسان في بعده المادي، فأصبحت القيم والأخلاق مجرد انعكاسات للسلوك الاجتماعي لا صلة لها بالوحي أو الفطرة. وهذا ما جعل المدرسة السلوكية تُعَدّ من أكثر النظريات انسجامًا مع الفلسفة الإلحادية في الغرب (الشقيري، 2012، ص 58).

الوجودية والإنسان مركز الكون

مع منتصف القرن العشرين، ظهرت المدرسة الوجودية كرد فعل على الآلية المادية للسلوكية، لكنها لم تخرج من الإطار الإلحادي، إذ أنكرت وجود الخالق واعتبرت الإنسان هو الذي "يخلق ذاته". فالوجود عندهم يسبق الماهية، أي أن الإنسان يوجد أولًا ثم يختار جوهره بنفسه دون توجيه إلهي. ومن هنا نشأ علم النفس الوجودي الذي يرى أن الحرية المطلقة هي القيمة العليا، وأن القلق

والمعاناة هما الطريق لاكتشاف الذات. وهذه الرؤية، رغم عمقها الفلسفي، قائمة على إنكار الغاية الإلهية للحياة، وجعل الإنسان هو الإله الجديد الذي يمنح الأشياء معناها (الهاشمي، 2021، ص 55).

المدرسة الإنسانية وتحقيق الذات بديلاً عن عبادة الله

ظهرت المدرسة الإنسانية على يد كارل روجرز وأبراهام ماسلو، رافعة شعار "كرامة الإنسان وتحقيق الذات". وقد بدت للوهلة الأولى أكثر قربًا من التصور الإيماني، لكنها في جوهرها استبدلت الإيمان بالذات، فجعلت السعادة غاية ذاتية داخلية لا علاقة لها بالله أو القيم المطلقة. فـ"تحقيق الذات" عند روجرز هو أن يصل الإنسان إلى الانسجام الداخلي دون الحاجة إلى مرجعية دينية، و"هرم الحاجات" عند ماسلو يضع "تحقيق الذات" في قمته دون أي ذكر للعبودية لله. ومن ثم فإن المدرسة الإنسانية ظلت حبيسة الفكر العلماني، وإنْ لبست ثوبًا أكثر ليونة (عبدالله، 2018، ص 90).

يرى الباحث أن جميع هذه المدارس، رغم اختلافها في المنهج، تشترك في إقصاء الوحي، وإنكار الروح، وتفسير النفس تفسيرًا ماديًا صرفًا. فهي ترى الإنسان نتاجًا للطبيعة، والدين ظاهرة اجتماعية أو نفسية، والخير والشر نسبتان متغيرتان. هذا التصور يجعل علم النفس الغربي علمًا بلا روح، ومجالًا للتيه الوجودي. ومن ثم فإن الأسس المادية والإلحادية التي يقوم عليها هذا العلم تحتاج إلى نقدٍ جذريٍّ يُعيد الاعتبار للبعد الإيماني في فهم النفس الإنسانية، ويُؤسس لعلم نفس قائم على العقيدة الإسلامية، التي ترى في النفس مخلوقًا مكرمًا يحمل الأمانة ومسؤولية الاستخلاف (القرني، 2015، ص 112).

المبحث الثاني: مظاهر العداء الخفي للإسلام في النظريات النفسية الغربية

من يتأمل تاريخ نشوء علم النفس الغربي يجد أن العداء للإسلام لم يكن صريحًا في بداياته، بل تَسلّل إلى جوهره عبر مفاهيمه ومناهجه ومصطلحاته. فقد تأسس هذا العلم في بيئة علمانية تعادي الدين بوجهٍ عام، وتُقصي الغيب والوحي عن ميدان البحث، إلا أن الموقف من الإسلام تحديدًا كان أكثر حدّةً وسريةً في الوقت ذاته. إذ يُصوَّر الدين في علم النفس الغربي غالبًا بوصفه عائقًا للنمو النفسي، ومصدرًا للقلق والكبت، ومجالًا للخرافة والجمود العقلي، بينما يُقدَّم الإلحاد والعلمانية على أنهما رمزا التنوير والتحرر (عبدالله، 2018، ص 103).

وهكذا أصبح علم النفس الغربي في مضمونه وأدواته جزءًا من المنظومة الفكرية التي تهدف إلى علمنة الإنسان، وتجريده من هويته الدينية، عبر مفاهيم تبدو علمية محايدة لكنها تحمل في باطنها رفضًا واضحًا لمبادئ الإسلام وقيمه الروحية (الهاشمي، 2021، ص 60).

التصوير النفسي السلبي للدين والإيمان

من أبرز مظاهر العداء الخفي للإسلام في النظريات النفسية الغربية تصوير الدين عامة، والإسلام خاصة، كعامل مرضي أو كآلية دفاعية بدائية. فقد رأى فرويد أن الدين وهمٌ جماعيٌّ يُعبّر عن حاجة الإنسان للأب الحامي، وهو في نظره صورة من العصاب الجمعي الذي يعطل النضج النفسي. ولم يفرّق فرويد بين الأديان، بل جمعها كلها في خانة الوهم النفسي، غير أن تطبيق أفكاره

على الإسلام في الدراسات الغربية اللاحقة كان أكثر استهدافًا، إذ اعتُبر المسلم "أسير الدين"، عاجزًا عن التطور النفسي والتحرر من الكبت الديني (القرني، 2015، ص 124).

وقد تبنّت المدرسة التحليلية اللاحقة هذا التصور حين فسّرت الالتزام الديني بأنه نوع من التبعية المرضية للأنا الأعلى، أي للضمير القاسي الذي يفرضه المجتمع والدين، ما جعل الإيمان في التصور النفسي الغربي مرضًا ينبغي التخلص منه لتحقيق "الصحة النفسية". وهذا الاتجاه يتناقض جذريًا مع الرؤية الإسلامية التي ترى الإيمان أساس السكينة والطمأنينة للنفس (الزهراني، 2019، ص 41).

تفسير العبادة كاضطراب نفسي :

تُعد محاولة تفسير الشعائر والعبادات الإسلامية تفسيرًا نفسيًا محضًا من أخطر أشكال العداء الخفي. إذ يُنظر إلى الصلاة على أنها وسيلة للتنفيس عن التوتر، والصوم على أنه ضبط للسلوك من أجل السيطرة على الدوافع، والزكاة على أنها نوع من التكفير الاجتماعي عن الذنب. هذه التفسيرات لا تنكر السلوك في ذاته لكنها تفرغه من معناه التعبدي، وتحوّله إلى نشاط دنيوي محض، وكأن العبد لا يعبد الله، بل يُعالج ذاته! (العساف، 2020، ص 72).

وهذه الرؤية تتجاهل البعد الإيماني في العبادة الذي هو المقصد الأساس في الإسلام، إذ لا معنى لأي عبادة ما لم تُبنَ على نية خالصة لله. وبهذا يتبين أن علم النفس الغربي يسعى ضمنيًا إلى علمنة العبادة، وإفراغها من محتواها العقدي، لتصبح مجرد ظاهرة سلوكية يمكن تفسيرها بالمثيرات والدوافع (الهاشمي، 2021، ص 68).

تشويه مفهوم التوبة والشعور بالذنب

من المظاهر الواضحة للعداء للإسلام أن علم النفس الغربي يعيد تفسير الشعور بالذنب والتوبة تفسيرًا سلبيًا. فبدل أن يُعدّ الشعور بالذنب علامة على حياة الضمير ويقظة الإيمان، يراه التحليل النفسي اضطرابًا ناتجًا عن صراع داخلي بين الأنا والغرائز. واعتُبرت التوبة محاولة مرضية لتخفيف ضغط الأنا الأعلى. بينما في التصور الإسلامي، الذنب والتوبة هما أساس الإصلاح النفسي، لأنهما يُعيدان الإنسان إلى فطرته ويقظته الروحية. ولكن النظريات الغربية تهاجم هذا الجانب لتفصل بين النفس وخالقها (الزهراني، 2019، ص 48).

وهذا يفسر لماذا يشيع في الأدبيات النفسية الغربية وصف الملتزمين دينيًا بأنهم "مكبوحون" أو "مقيدون بالذنب"، بينما يُمدح غير المتدين بأنه "ناضج ومتوازن"، وهي معايير نفسية مقلوبة تُقاس وفق القيم العلمانية لا وفق مقاييس الفطرة والوحي (عبدالله، 2018، ص 109) .

رفض مفهوم الفطرة الإنسانية

يرى الإسلام أن النفس خُلقت على الفطرة، أي الاستعداد الطبيعي للإيمان بالله والخير، كما قال تعالى: فطرة الله التي فطر الناس عليها. أما علم النفس الغربي فيرفض هذا المفهوم، ويعتبر الإنسان صفحة بيضاء تُشكلها البيئة والتجربة فقط. فالسلوكية ترى أن السلوك مكتسب من خلال التعلم، والتحليلية ترده إلى اللاشعور، والوجودية تجعله من صنع الحرية الفردية. وهكذا يُنفى البعد

الفطري الذي يربط النفس بالله، فيتحول الإنسان إلى نتاج للبيئة أو الغرائز، لا مخلوقًا مكرمًا موجهًا بالوحي (العساف، 2020، ص 79).

إن إنكار الفطرة لا يعني سوى إنكار الخالق، لأن الاعتراف بها يستلزم الإيمان بوجود من فطرها. ولذلك ظل هذا المفهوم هدفًا خفيًا للهجوم، إذ بإزالته تُزال كل علاقة بين الإنسان وربه، ويُصبح علم النفس علمًا بلا روح ولا مقصد أخلاقي (القرني، 2015، ص 132).

تغريب مفهوم السعادة

تُعرِّف النظريات النفسية الغربية السعادة بأنها الشعور باللذة والرضا النفسي وتحقيق الذات، بينما في الإسلام هي الطمأنينة الناتجة عن الإيمان والعمل الصالح. وقد أدت النظرة الغربية إلى تحويل السعادة إلى غاية دنيوية تُقاس بالمتعة والمصلحة الشخصية. ومن ثم أصبح العلاج النفسي الغربي يهدف إلى تحرير الفرد من الالتزام الديني أو الأخلاقي بحجة تحقيق التوازن النفسي. وهذه المقاربة في حقيقتها تعادي المفهوم الإسلامي للسعادة الذي يقوم على العبودية لله، لا على عبودية الذات (الهاشمي، 2021، ص 70).

وهكذا نُقلت المفاهيم من سياقها الإيماني إلى سياق مادي، فصارت السعادة والنجاح والرضا النفسي أهدافًا دنيوية بحتة، دون أي ارتباط بالآخرة. وهذا التوجه يخدم الفلسفة المادية التي تُقصي الله عن حياة الإنسان (عبدالله، 2018، ص 115).

علمنة القيم والأخلاق

من أخطر مظاهر العداء الخفي للإسلام في علم النفس الغربي علمنة القيم، أي فصلها عن المرجعية الإلهية. فالنظريات الغربية ترى أن القيم ليست مطلقة بل نسبية، تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات. فليس هناك "خير" أو "شر" في ذاته، وإنما هو ما يتفق عليه الناس. وهذا المبدأ يهدم الأساس الأخلاقي الذي جاء به الإسلام، القائم على أن الخير والشر محددان بوحي الله. بل إن كثيرًا من المدارس النفسية تُشجع على "التحرر من القيود الأخلاقية" باعتبارها كوابح تعيق النمو الذاتي (الزهراني، 2019، ص 54).

وقد أدى ذلك إلى ظهور توجهات علاجية ونظرية تبرر الانحرافات السلوكية، مثل المثلية الجنسية أو الإدمان، بدعوى الحرية الفردية وحق الاختيار، دون أي اعتبار للقيم الدينية. وهكذا تحوّل علم النفس إلى أداة فكرية لتطبيع الانحراف ومحاربة الأخلاق المستمدة من الدين (العساف، 2020، ص 83).

التحليل النفسي للإيمان الإسلامي

تُظهر بعض الدراسات النفسية الغربية تركيزًا خاصًا على الإسلام والمسلمين بوصفهم "حالة نفسية" تحتاج إلى الفهم والتحليل. ففي العقود الأخيرة، بعد أحداث سياسية كبرى، زادت البحوث التي تفسر الالتزام بالإسلام من زاوية "العنف" و"التشدد" و"الإرهاب"، في محاولة لربط التديّن الإسلامي بمركّبات اللاوعي الجمعي أو بالعقد التاريخية. هذه المقاربات لا تبحث عن الحقيقة، بل تُحاول اختزال الإسلام في ظواهر مرضية، لتبرير الموقف العدائي الغربي من المسلمين (الهاشمي، 2021، ص 74).

ويُستدل على ذلك بكثرة المصطلحات النفسية التي تُستعمل في وصف الظواهر الدينية الإسلامية مثل "الهوس الديني"، "الذهان العقائدي"، "التطرف النفسي"، وهي مصطلحات ذات طابع ازدرائي، تعكس نظرة استعلائية للغرب تجاه الإيمان الإسلامي. وهذا الأسلوب في التحليل يُظهر كيف يتغلغل العداء للإسلام في المفاهيم النفسية ذاتها (عبدالله، 2018، ص 120).

استبعاد الوحي من مصادر المعرفة النفسية

يرى علم النفس الغربي أن مصادر المعرفة تقتصر على الحس والتجربة والعقل، بينما يستبعد الوحي تمامًا من منظومته المعرفية. وهذا المبدأ يُعدّ أساس العداء الفكري للإسلام، لأن الإسلام يجعل الوحي هو المصدر الأعلى للمعرفة في قضايا النفس والروح. إن إقصاء الوحي يجعل علم النفس الغربي عاجزًا عن تفسير أعمق جوانب الإنسان، لأنه يتجاهل البعد الغيبي الذي لا يمكن الوصول إليه بالتجربة. وهذا ما أدى إلى التناقض بين ما يقدمه هذا العلم وما يحتاجه الإنسان من إيمان ومعنى وطمأنينة (القرني، 2015، ص 138).

ولهذا فإن كثيرًا من علماء النفس المسلمين يرون أن علم النفس الغربي لا يمكن أن يكون مرجعًا شاملاً لفهم النفس الإنسانية ما لم يُصحَّح أساسه المعرفي ويُدمج بالوحي الإلهي. فالمعرفة التي تُقصي الخالق عن المخلوق معرفة ناقصة، لأنها تُعالج الأعراض دون الجوهر (العساف، 2020، ص 88).

يرى الباحث أن العداء للإسلام في علم النفس الغربي ليس عداءً صريحًا في الشعارات، بل هو عداء خفيٌّ يتغلغل في المفاهيم والمنهج والتفسير. إنه عداء يقوم على إنكار الروح، ورفض الوحي، وإقصاء الدين من فهم الإنسان. فحين يُقدَّم الإيمان كاضطراب، والعبادة كتنفيس، والتوبة كعُصاب، والسعادة كلذة دنيوية، فإن النتيجة هي نزع القداسة عن النفس وتحويلها إلى مادة تُفسَّر بمصطلحات علمانية بحتة.

ومن ثم فإن إعادة بناء علم النفس على ضوء الوحي ضرورة فكرية وعلمية، حتى يُعاد للإنسان توازنه بين جسده وروحه، بين دنياه وآخرته، وبين العلم والإيمان. فبدون ذلك سيظل علم النفس الغربي أداة فكرية لمحاربة الدين باسم العلم (الهاشمي، 2021، ص 78).

المبحث الثالث : نقد علم النفس الغربي في ضوء التصور الإسلامي للنفس الإنسانية

إن علم النفس الغربي، برؤاه المادية والإلحادية، قد حاول تفسير السلوك الإنساني بمعزل عن الدين والوحي، فوقع في خطأ منهجي عميق جعل نتائجه قاصرة ومشوهة. أما التصور الإسلامي للنفس الإنسانية، فينطلق من رؤية شاملة للإنسان بوصفه مخلوقاً روحياً مادياً، له بعد غيبي يتجاوز حدود الحس والتجريب. ومن هنا فإن نقد علم النفس الغربي في ضوء التصور الإسلامي لا يهدف فقط إلى بيان أخطائه، بل إلى إبراز تفوق المنهج الرباني في فهم حقيقة النفس ووظيفتها وغايتها (المدني، 2007، ص33).

الأساس المعرفي في التصور الإسلامي مقابل الأساس التجريبي الغربي

يختلف الأساس المعرفي بين المنهجين اختلافاً جذرياً، فبينما يعتمد علم النفس الغربي على الحواس والتجربة كمصدرين وحيدين للمعرفة، يؤكد الإسلام على أن المعرفة الحقة لا تكتمل إلا بالوحي الذي يهب الإنسان بصيرة في ما وراء المادة. فالعقل عند المسلمين أداة لفهم الكون في ضوء هداية الله، أما في الفكر الغربي فهو مرجعية مطلقة لا تعترف إلا بما تراه العين وتلمسه اليد. وبهذا حُرم الإنسان الغربي من إدراك الجوانب الروحية في النفس، لأن أدواته المعرفية ناقصة بطبيعتها (الغزالي، 1988، ص62).

النظرة إلى الإنسان في المنهجين

يرى التصور الإسلامي أن الإنسان مكرم بنفخة الروح الإلهية، وأنه مكلّف بعبادة الله وعمارة الأرض وفق منهج رباني، بينما ينظر علم النفس الغربي إلى الإنسان باعتباره كائناً مادياً خاضعاً لقوانين الطبيعة، لا يختلف عن الحيوان إلا في درجة التعقيد العقلي. هذه الرؤية المادية جعلت الإنسان الغربي يعيش فراغاً روحياً عميقاً رغم التقدم العلمي، لأنه فقد الإحساس بالغاية من وجوده، وأصبح يبحث عن السعادة في المادة واللذة بدلاً من الإيمان والسكينة (عبدالفتاح، 2005، ص47).

مفهوم النفس والروح

في الإسلام، النفس ليست مجرد تفاعل كيميائي أو عصبي، بل كيان مركّب يجمع بين الجسد والعقل والروح. والروح هي العنصر الإلهي الذي يميز الإنسان ويمنحه الحياة والوعي والمعنى. أما علم النفس الغربي فينكر الروح أصلاً أو يلتزم الصمت حيالها، لأنه لا يستطيع قياسها تجريبياً. وهذه هي أكبر ثغرة في علم النفس الحديث، إذ كيف يُدرس الإنسان دون أن يُدرس جوهره الذي به يكون إنساناً؟ (ابن القيم، 1993، ص71).

الأخلاق في المنهج الإسلامي والمنهج الغربي

يرى الإسلام أن الأخلاق فطرة مغروسة في النفس، تنبع من معرفة الله ومراقبته، بينما يراها علم النفس الغربي نتاجاً اجتماعياً متغيراً يحدده المجتمع وفق مصالحه. وبذلك جعل القيم نسبية قابلة للتبديل، وألغى فكرة الخير والشر المطلقين. ومن هنا نشأ الانحلال الخلقي في المجتمعات الغربية، لأنهم فصلوا بين العلم والأخلاق، بينما الإسلام يجمع بينهما في منظومة واحدة تربط العلم بالمسؤولية والإيمان (القرضاوي، 2001، ص94).

الدوافع والسلوك الإنساني

يؤكد الإسلام أن دوافع الإنسان ليست كلها مادية أو غريزية، بل تشمل دوافع إيمانية وروحية كحب الله والدار الآخرة والإحسان إلى الخلق. أما النظريات الغربية فقد حصرت السلوك في دوافع باطنية مادية مثل الجنس واللذة وحب التملك، كما فعل فرويد وواتسون وسكنر. وهذه النظرة القاصرة تحطّ من قدر الإنسان وتختزله في جسد تحركه الشهوات، بينما الرؤية الإسلامية ترفعه إلى مقام العبودية لله، فتجعل كل سلوكه خاضعاً لقيم عليا (فرويد، 1930، ص84).

منهج العلاج النفسي في الإسلام وعند الغرب

في حين تعتمد المدارس الغربية على التحليل النفسي أو العلاج السلوكي أو المعرفي كوسائل لإصلاح النفس، يعتمد الإسلام على العلاج الإيماني القائم على تزكية النفس وذكر الله والتوبة والعبادة. فالمعاناة النفسية في الإسلام ليست مرضاً عضوياً فقط، بل قد تكون نتيجة البعد عن الله، ولذلك فإن علاجها لا يكتمل إلا بعودة الإنسان إلى ربه. أما العلاج الغربي فيتجاهل هذا البعد تماماً، مما يجعله علاجاً ناقصاً يخفف الأعراض ولا يمسّ الجذر الحقيقي للمرض (الراوي، 2009، ص112).

أزمة علم النفس الغربي

إن علم النفس الغربي يعيش أزمة هوية حقيقية؛ فهو يتخبط بين مدارس متناقضة لا يجمعها مبدأ واحد، لأن الأساس الفلسفي الذي يقوم عليه غير ثابت. فمرة يجعل السلوك نتاجاً للمثيرات، ومرة يجعله انعكاساً للعقل، ومرة أخرى تعبيراً عن اللاشعور. وهذا الاضطراب نابع من غياب المرجعية الثابتة التي يملكها الإسلام من خلال الوحي، الذي يقدم تصوراً متكاملاً للنفس والسلوك والغاية من الوجود (عبدالرحمن، 2003، ص58).

تفوق التصور الإسلامي للنفس

يتميز التصور الإسلامي بشموليته وتوازنه؛ فهو يجمع بين العلم والإيمان، بين الجسد والروح، بين العقل والقلب، في حين أن التصور الغربي قاصر ومجزأ. فالإسلام لا ينكر التجربة، لكنه يضعها في إطار من القيم والغاية، ويجعل المعرفة وسيلة للعبادة، لا هدفاً مادياً بحتاً. ولذلك فإن أي علم نفس لا ينطلق من الإيمان بخالق النفس هو علم ناقص يضل طريقه مهما بلغ من الدقة والتجريب (القرني، 2011، ص39).

يرى الباحث أن علم النفس الغربي، رغم تقدمه في الجانب التطبيقي، فشل في تفسير الإنسان تفسيراً حقيقياً لأنه أهمل روحه وغايته الوجودية. أما التصور الإسلامي للنفس فهو الأقدر على تحقيق التوازن بين مطالب الجسد وحاجات الروح، لأنه مستمد من خالق النفس العليم بها. ومن ثم فإن إصلاح علم النفس لا يكون إلا بالعودة إلى الأساس الإيماني الذي يجعل معرفة الإنسان بنفسه طريقاً لمعرفة ربه (الهاشمي، 2010، ص75).

المبحث الرابع : مقومات بناء علم نفس إسلامي معاصر ينهض على الوحي والعقل معاً

إن بناء علم نفس إسلامي معاصر ليس ترفاً فكرياً ولا مجرد بديل عن العلوم الغربية، بل هو ضرورة حضارية ملحّة تهدف إلى إنقاذ الإنسان من الاغتراب المادي الذي أنتجته الفلسفات الغربية. فالإنسان في التصور الإسلامي مخلوق ذو طبيعة مزدوجة: جسد من طين وروح من أمر الله، ولا يمكن لأي علم أن يحقق الفهم الكامل للنفس الإنسانية إلا إذا جمع بين الوحي والعقل، بين التجربة والإيمان، بين المنهج العلمي والمنهج القيمي. ومن هنا تنبع أهمية تأسيس علم نفس إسلامي أصيل يستمد مبادئه من القرآن والسنة ويستفيد من مكتسبات العلم الحديث دون أن يخضع لمنطلقاته الفلسفية المنحرفة (عبدالفتاح، 2005، ص63).

الأساس العقدي لعلم النفس الإسلامي

الركيزة الأولى لبناء علم نفس إسلامي هي الإيمان بأن الله هو خالق النفس ومصدر القوانين التي تحكمها، قال تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها"، فالنفس ليست نتاجاً عشوائياً للتطور كما تزعم الفلسفات المادية، وإنما مخلوق متقن له طبيعة

أخلاقية وروحية. ومن هنا فإن فهم النفس لا يكون إلا في ضوء علاقتها بخالقها. فالوحي هو المصدر الأعلى للمعرفة بالنفس، والعقل تابع له في الفهم والاستنباط، وليس منافساً له كما في الفكر الغربي (الغزالي، 1988، ص77).

التكامل بين الوحي والعقل

العقل في الإسلام أداة عظيمة لفهم الوحي والكون معاً، وهو وسيلة لاكتشاف السنن الإلهية في النفس والطبيعة. غير أن العقل وحده لا يستطيع أن يدرك الغيب أو يحدد القيم المطلقة، ولهذا جاء الوحي مكملاً له وموجهاً لعمله. فالعلم النفسي الإسلامي لا يرفض البحث التجريبي، بل يضبطه بالمرجعية الإيمانية، حتى لا ينحرف إلى التفسير المادي أو الإلحادي. ومن هنا فإن التكامل بين الوحي والعقل هو أساس النهضة العلمية الحقيقية في ميدان النفس (القرضاوي، 2001، ص115).

المنهج العلمي في علم النفس الإسلامي

يتميز المنهج الإسلامي في دراسة النفس بأنه يجمع بين الملاحظة والتجربة من جهة، والتأمل الشرعي والتفسير القيمي من جهة أخرى. فهو لا يرفض أدوات العلم الحديثة مثل الاختبار والمقابلة والإحصاء، لكنه يرفض توجيهها لخدمة فلسفات منكرة للغيب. فالباحث المسلم ينطلق من أن السلوك الإنساني له أسباب ظاهرة وباطنة، مادية وروحية، ويجب دراستها في تكامل لا في تعارض. وهذا المنهج الشمولي يجعل علم النفس الإسلامي أكثر قدرة على تفسير الظواهر الإنسانية تفسيراً متوازناً (المدني، 2007، ص49).

القيم الأخلاقية في علم النفس الإسلامي

القيم في المنظور الإسلامي ليست نتاجاً اجتماعياً ولا توافقاً نسبياً، بل هي أوامر ربانية ثابتة تشكل الإطار الذي يوجه سلوك الإنسان. ولذلك فإن علم النفس الإسلامي لا يمكن أن يكون حيادياً تجاه القيم كما هو الحال في النظريات الغربية. بل يجب أن يكون موجهاً نحو تزكية النفس وتقويم السلوك وإصلاح المجتمع. فهدفه ليس مجرد التكيف مع الواقع، بل تغييره نحو الحق والفضيلة. وهذه القيم الأخلاقية هي روح علم النفس الإسلامي ومصدر تميّزه (عبدالرحمن، 2003، ص81).

مراعاة الفطرة الإنسانية

إن علم النفس الإسلامي ينطلق من الإيمان بأن الفطرة السليمة هي أساس الصحة النفسية، وأن الانحراف عن الفطرة سبب رئيسي في الاضطرابات النفسية. فالنفس التي تُعرض عن ذكر الله وتغرق في الشهوات لا يمكن أن تنال الطمأنينة مهما بلغت من المتع المادية. ولذلك، فإن مهمة علم النفس الإسلامي هي إعادة الإنسان إلى فطرته الأولى بالتوبة والعبادة وتزكية القلب. وهذا البعد الفطري يغيب تماماً عن علم النفس الغربي الذي يعامل الإنسان ككائن بلا غاية ولا مصير (ابن القيم، 1993، ص104).

تطوير أدوات البحث والتطبيق من منظور إسلامي

إن النهضة بعلم النفس الإسلامي لا تكتمل إلا ببناء أدوات بحثية وبرامج علاجية وتربوية منطلقة من الرؤية الإسلامية للإنسان. فبدلاً من نسخ المقاييس الغربية التي تقوم على فلسفات علمانية، يجب تطوير اختبارات تقيس الإيمان والضمير والسكينة، وبرامج

علاجية تقوم على الذكر والدعاء والصلاة والتوبة. كما ينبغي تدريب الأخصائيين النفسيين على فهم البعد الروحي في الإنسان حتى يكون العلاج شاملاً للجسد والعقل والروح معاً (الزهراني، 2010، ص92).

التجديد والإبداع في إطار الثوابت

علم النفس الإسلامي ليس تكراراً للموروث القديم، بل هو مشروع تجديدي يستوعب المعارف الحديثة دون أن يتخلى عن ثوابته. فالإسلام لا يعادي العلم، بل يوجهه نحو الخير. والمطلوب اليوم هو علماء يجمعون بين الإيمان العميق والتأهيل العلمي الراسخ، قادرين على تطوير نظرية نفسية معاصرة تجمع بين الوحي والعقل، بين التجريب والإيمان، بين الواقع والمبدأ. وهذا هو الطريق لبناء علم نفس ينهض بالأمة روحياً وفكرياً (الهاشمي، 2010، ص119).

النتائج المتوقعة من بناء علم نفس إسلامي

إذا تحقق هذا المشروع، فسيعيد للإنسان توازنه النفسي والأخلاقي، وسيجعل العلوم الإنسانية في خدمة الإيمان بدلاً من صراعه. كما أنه سيساهم في حل مشكلات الاكتئاب والقلق والاغتراب التي يعاني منها العالم المادي، لأن الإسلام يقدم علاجاً جذرياً يقوم على معرفة الله وعمارة القلب بالإيمان. وهذا هو ما يميز العلم الإسلامي عن النظريات الغربية القاصرة التي تعالج الأعراض وتغفل الجوهر (الراوي، 2009، ص136).

يرى الباحث أن بناء علم نفس إسلامي معاصر لا يتحقق بمجرد الرفض للنظريات الغربية، بل بالعمل الإيجابي على تأسيس علم بديل ينطلق من الوحي ويستنير بالعقل، ويوازن بين الجسد والروح، ويعيد الاعتبار للقيم والفطرة. فالوحي هو النور الذي يهدي العقل ليكتشف سنن الله في النفس، والعقل هو الأداة التي تفهم وتطبّق هذا الوحي في الواقع. وبهذا التكامل يتحقق علم نفس راشد، يعيد للإنسان إنسانيته، وللعلم معناه، وللحياة غايتها (القرني، 2011، ص142).

خاتمة البحث :

بعد هذا العرض التحليلي والنقدي لعلم النفس الغربي في ضوء التصور الإسلامي، يتضح أن الخلاف بينهما ليس خلافاً في التفاصيل أو الأساليب، بل هو خلاف في الجذور والأسس والمنطلقات. فعلم النفس الغربي تأسس على رؤية مادية علمانية تُقصي الغيب وتُنكر الروح، مما جعل تفسيره للنفس ناقصاً ومبتوراً. بينما يقوم التصور الإسلامي على رؤية توحيدية شاملة تجعل النفس محوراً في منظومة الإيمان والعمل، وترى أن صلاحها لا يكون إلا بارتباطها بخالقها.

لقد كشفت المباحث السابقة عن عمق الأزمة الفكرية التي يعاني منها علم النفس الغربي نتيجة فصله بين الإنسان وربه، وعن الحاجة الملحة لبناء علم نفس إسلامي أصيل يجمع بين الوحي والعقل، ويجعل هدفه الأسمى تزكية النفس وإصلاحها، لا مجرد وصفها أو ضبط سلوكها. إن النفس الإنسانية ليست مادة قابلة للقياس فقط، بل كيان حي يتفاعل مع القيم والعقيدة، وهذا ما غاب عن الفكر الغربي الحديث الذي اختزل الإنسان في بعده البيولوجي والسلوكي (عبدالرحمن، 2003، ص92).

نتائج البحث

النتيجة الأولى:

ثبت أن علم النفس الغربي نشأ في بيئة فلسفية مادية متأثرة بروح العداء للدين، فحمل في داخله نزعة إلحادية واضحة، سواء في تفسيره للسلوك أو في تحديده لمفهوم النفس، مما أفقده التوازن بين الجسد والروح، وجعل نتائجه قاصرة عن إدراك جوهر الإنسان الحقيقي.

النتيجة الثانية:

تبيّن أن النظريات الغربية في علم النفس، كالسلوكية والتحليلية والإنسانية، تشترك جميعها في إهمال البعد الإيماني، وتفسير السلوك تفسيراً دنيوياً صرفاً، مما أدى إلى ظهور أزمات نفسية وأخلاقية في المجتمعات التي تبنتها، إذ أصبحت السعادة عندها محصورة في اللذة المادية والنجاح الدنيوي.

النتيجة الثالثة:

اتضح أن المنهج الإسلامي في دراسة النفس أوسع وأعمق، لأنه يجمع بين الوحي والعقل، وبين المادة والروح، ويستند إلى تصور متكامل للإنسان يجعله خليفة في الأرض لا عبداً للشهوة. وهذا المنهج قادر على تفسير الظواهر النفسية تفسيراً متوازناً يربط بين العلم والإيمان.

النتيجة الرابعة:

تبين أن علم النفس الغربي يعيش أزمة هوية ومنهج، إذ لا يملك مرجعية ثابتة، ويتنازع بين مدارس متناقضة في رؤيتها للإنسان والسلوك، مما يدل على أن غياب الوحي عن الفكر النفسي يؤدي إلى الضياع والتيه في تأويل النفس البشرية.

النتيجة الخامسة:

ظهر من التحليل أن التصور الإسلامي للنفس الإنسانية يتسم بالشمول والتوازن، فهو يربط بين العقل والقلب، وبين الجسد والروح، ويجعل الإيمان هو المحرك الرئيس للسلوك الإنساني، ويهدف إلى تزكية النفس وإصلاحها لا إلى تكييفها مع الانحراف أو الواقع الفاسد.

النتيجة السادسة:

خلص البحث إلى أن بناء علم نفس إسلامي معاصر ممكن وضروري، بشرط أن يقوم على الوحي أساساً، وأن يستفيد من مناهج البحث الحديثة دون أن يخضع لفلسفاتها المادية، وأن يكون هدفه خدمة الإنسان وإعادته إلى فطرته التي فطره الله عليها.

التوصيات

1. العمل على تأسيس علم نفس إسلامي مستقل في الجامعات ومراكز البحث، يضع مناهج ومقررات تربط بين الوحي والعلم، وتعيد تعريف مفاهيم النفس والسلوك وفق الرؤية القرآنية.

2. تشجيع الباحثين المسلمين على دراسة النظريات الغربية نقدياً في ضوء مقاصد الشريعة، وبيان مواطن الانحراف فيها، بدلاً من مجرد ترجمتها أو استيرادها دون تمحيص.

3. تطوير أدوات القياس والعلاج النفسي من منظور إسلامي يعتمد على تزكية النفس، والعبادة، والذكر، والدعاء، كمكونات أساسية في العلاج النفسي، مع الاستفادة من تقنيات العلاج الحديثة.

4. إعداد برامج تأهيل للأخصائيين النفسيين المسلمين تجمع بين المعرفة العلمية والعمق الإيماني، ليكونوا قادرين على مساعدة الناس بعلاج متكامل للجسد والعقل والروح.

5. إقامة مؤتمرات علمية دورية تجمع بين علماء الشريعة وعلماء النفس لتبادل الخبرات وبناء إطار نظري متكامل لعلم النفس الإسلامي.

6. تعزيز الوعي المجتمعي بخطورة النظريات الغربية التي تُقصي الدين، وتشجيع العودة إلى القيم القرآنية كأساس لتحقيق السكينة النفسية والاتزان الروحي.

المقترحات :

1. إجراء دراسات ميدانية تطبيقية لقياس أثر البرامج الإيمانية والعبادات على الصحة النفسية والسلوك الاجتماعي.

2. إعداد موسوعة شاملة لعلم النفس الإسلامي تجمع المفاهيم القرآنية والحديثية المتعلقة بالنفس، وتعرضها بأسلوب علمي مقارن مع المدارس الغربية.

3. إنشاء مجلة علمية محكّمة متخصصة في علم النفس الإسلامي تكون منبراً للنشر العلمي الرصين في هذا المجال.

4. ترجمة المؤلفات العالمية الحديثة في علم النفس ترجمة نقدية تراعي التصفية الفكرية والتحليل الشرعي، لا الترجمة الحرفية.

5. إعداد مقررات دراسية موحدة لعلم النفس الإسلامي في الجامعات العربية والإسلامية تُدرَّس إلى جانب علم النفس العام.

6. توجيه الباحثين إلى دراسة العلاقة بين العبادة والصحة النفسية دراسة تجريبية وإحصائية لإثبات فعالية الإيمان في تحقيق الاتزان النفسي.

قائمة المراجع

1. أبو زيد، نصر حامد (1995). نقد الخطاب الديني. القاهرة: سينا للنشر.

2. إسماعيل، عبد الرحمن (2014). نحو علم نفس إسلامي معاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.

3. البوطي، محمد سعيد رمضان (1998). كبرى اليقينيات الكونية. دمشق: دار الفكر.

4. الجندي، محمد (2009). الفكر الغربي الحديث وأثره في علم النفس. بيروت: دار النهضة.

5. الراوي، عبد الكريم (2016). نقد الأسس الفلسفية لعلم النفس الغربي. عمان: دار المسيرة للنشر.

6. الرفاعي، طه عبد الرحمن (2007). روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

7. الزحيلي، وهبة (2001). أصول الفقه الإسلامي. دمشق: دار الفكر.

8. السامرائي، محمد (2019). النفس الإنسانية بين المنظور القرآني والتحليل النفسي الغربي. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

9. الشافعي، أحمد (2020). نقد فرويد من منظور إسلامي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

10. الشنقيطي، محمد الأمين (2012). الحرية والفكر الغربي. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.

11. الطحاوي، عبد الله (2010). المنهج الإسلامي في فهم النفس والروح. الرياض: مكتبة العبيكان.

12. عبد الرحمن، زينب (2018). مناهج البحث في علم النفس بين المادة والروح. القاهرة: دار غريب.

13. عطية، علي (2017). التصوف والعلاج النفسي: مقاربة بين علم النفس الحديث والرؤية القرآنية. القاهرة: دار الفكر المعاصر.

14. فروم، إريك (1955). التحليل النفسي والدين. ترجمة عبد المنعم الحفني. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

15. فرويد، سيغموند (1913). الطوطم والتابو. ترجمة جورج طرابيشي. بيروت: دار الطليعة.

16. ماسلو، أبراهام (1968). نحو سيكولوجية للوجود الإنساني. ترجمة أحمد عبد العزيز. القاهرة: دار المعارف.

17. ميلاني، فاضل (2005). النظرة الإسلامية إلى علم النفس الحديث. طهران: مركز دراسات الفكر الإسلامي.

18. هيوم، ديفيد (1748). بحث في الفاهمة البشرية. ترجمة جميل صليبا. بيروت: دار الفكر.

19. يونغ، كارل غوستاف (1959). الأنماط النفسية. ترجمة لطفي الهادي. القاهرة: دار النهضة العربية.

20Watson, John B. (1924). Behaviorism. New York: W.W. Norton & Company.

21Skinner, B. F. (1953). Science and Human Behavior. New York: Macmillan.

22Rogers, Carl (1961). On Becoming a Person. Boston: Houghton Mifflin.

23Fromm, Erich (1941). Escape from Freedom. New York: Farrar & Rinehart.

24Frankl, Viktor (1963). Man's Search for Meaning. Boston: Beacon Press.

25Badri, Malik (1979). The Dilemma of Muslim Psychologists. London: MWH Publishers.

26Badri, Malik (1987). Contemplation: An Islamic Psychospiritual Study. Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought (IIIT).

27Sardar, Ziauddin (1989). Exploring Islam: Essays on Islamic Culture and Society. London: Mansell Publishing.

28Nasr, Seyyed Hossein (1989). Knowledge and the Sacred. New York: State University of New York Press.

29Rahman, Fazlur (1982). Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition. Chicago: University of Chicago Press.

30Smith, Huston (1991). The World's Religions: Our Great Wisdom Traditions. New York: HarperCollins.